



الشباب و الوقت

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣].

نحن في الخطبة السادسة عشرة من سلسلة قضايا الشباب تحدثنا: لماذا هذه السلسلة، الشباب في القرآن الكريم، الشباب في حديث سيدنا محمد ﷺ، الشباب والعلم، الشباب والعمل، الشباب والمسجد، الشباب والعفة، الشباب ووسائل الاتصال الحديثة، الشباب وبر الوالدين، الشباب والحب، الشباب والهدف، الشباب الصلة بالله تعالى، وحديث اليوم عن الشباب والوقت.

قال الله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ [العصر: ١-٣]

قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»^(١).
قال ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»^(٢).
أيها الإخوة:

الوقت مادة فيها فلاح المفلحين، وفيها خسارة الخاسرين، مادة فيها نجاح الناجحين، وفيها خيبة الخائبيين، مادة فيها سعادة السعداء، وفيها شقاوة الأشقياء، باغتنام الأوقات نجح من نجح، وبضياع الأوقات خاب من خاب، بالإفادة من الزمن أفلح المفلحون، وبهدر الزمن خسر الخاسرون، بتنظيم الأوقات واغتنام الأعصر سعد السعداء، وبعدم تنظيمها واغتنامها شقي الأشقياء.

نعم ... إنه الوقت، إنه الزمن، إنه العصر
بالزمن وبالوقت وبالعصر أقسم ربنا في قرآنه الكريم.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (6412).

(٢) سلف تخريجه.

أقسم بالعصر فقال: ﴿وَالْعَصْرَ (I) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)﴾ [العصر: 1-2].
 أقسم بالفجر فقال: ﴿وَالْفَجْرَ (I) وَلَيْالٍ عَشْرَ (2)﴾ [الفجر: 1 - 2]
 أقسم بالضحي فقال: ﴿وَالضُّحَى (I) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (2)﴾ [الضحى: 1، 2]
 أقسم بالليل وأقسم بالنهار فقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى (I) وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى (2)﴾ [الليل: 1، 2]

ومعلوم لديكم أن الإنسان لا يجوز أن يحلف إلا بالله تعالى أو بأحد أسمائه أو صفاته، لكن الله عز وجل أن يحلف بما شاء من مخلوقاته، بيد أن الحالف لا يحلف إلا بعظيم، إلا بذي قيمة، إلا بخطر، ولذلك أقسم ربنا جل جلاله بالعصر والزمن والوقت. يقول أهل اللغة: الأصل في كلمة العصر: الضغط على شيء حتى يخرج منه شيء آخر، فقولك: عصر الثوب، أي: ضغط عليه حتى خرج منه الماء. وفي تسمية الزمن والوقت عصراً إشارةً إلى أن على العاقل أن يضغط وقته ويغتنمه حتى يستخلص منه كل نافع ومفيد.

يقول أهل التريية الروحية: إن أول ما يستفيد السالك في طريق الله أن يحافظ على أوقاته من الضياع، وآخر ما يصل إليه في هذه الطريق أن يحافظ على أنفاسه من أن تخرج بدون ذكر الله تعالى وبدون فائدة.

نعم، أيها الإخوة، هذا هو الإسلام، حفاظاً على الأوقات، واغتنام لها. ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزوّد مني، فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

رُوي عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله أوصني؟ قال: من استوى يومه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون، ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان، ومن كان في نقصان فالموت خيرٌ له⁽¹⁾.

أيها الإخوة:

يُورَن الإنسان في الحياة بميزان اغتنامه لوقته، فكم من الناس عاشوا على هذه الأرض، أكلوا وشربوا، وناموا واستيقظوا، وتزوجوا وأنجبوا، ثم ماتوا وليس لهم في ميزان

(1) حلية الأولياء 8/35.

خدمة دينهم وأوطانهم وزن، ليس لهم في ميزان الفضائل والعلوم معنى، فطوى ذكرهم الزمن، وغيبهم التراب!

وكم من أناسٍ عاشوا على هذه الأرض وفعلوا ما فعل أولئك إلا أنهم أضافوا إلى ذلك خدماتٍ جُلّى للبلاد والعباد، أضافوا قيماً وفضائل وعلماً، فكانوا أصحاب وزن كبير، ومكانة عالية، ماتت أجسادهم ولم تمت أعمالهم « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمٌ وعلمه ونشره، أو ولد صالح تركه، أو مصحف ورّثه، أو مسجد بناه، أو بيت لابن السبيل، أو نهر أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته »⁽¹⁾.

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»⁽²⁾.

أيها الإخوة الشباب: إن أقواماً سبقونا عاشوا خمسين سنة أو ستين أو سبعين، لكن أعمالهم وفضائلهم عاشت بعدهم مئاة السنين، لقد كانوا يفيدون من أوقاتهم حق الاستفادة.

دقائق قلب المرء قائمة له إن الحياة دقائق وثوان

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عُمرٌ ثانٍ

إن قيم الأشياء تزداد وتكبر إذا أدخلت فيها عامل الزمن والوقت، فما بالك بقيمة الإنسان إذا أفاد من زمنه ووقته، والعكس بالعكس؟
سجلوا عندكم:

قضيبي خام من الحديد ثمنه خمسة دولارات.

إذا أدخلت عليه عامل الوقت والتصنيع البسيط فصُنِّعَ بشكل حدوات صار ثمنه أحد عشر دولاراً.

إذا زاد الوقت ودقة الصناعة وصنع بشكل إبر خياطه صار ثمنه ثلاثمئة وخمسة وخمسين دولاراً.

إذا صُنِّعَ على شكل سكاكين، فثمنه ألفان ومئتان وخمسة وثمانون دولاراً.

(1) أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم (242) من حديث أبي هريرة ؓ .

(2) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ؓ في "جامعه" برقم (1376) وقال حسن صحيح واللفظ له، وأخرجه مسلم بنحوه برقم (4310).

إذا صُنِّعَ على شكل نوابض ساعات صار ثمنه مئتان وخمسون ألف دولاراً.
إنه الزمن الذي يُعْلي قيمة الأشياء، إذا استثمِرَ بشكل جيد.
في كتب تربية الكبار وصناعة القدوة يجعلون هذا الكبير القدوة يراقب وقته إلى
أدق التفاصيل.

فيقولون مثلاً: إن رجلاً عاش عمراً متوسطاً - ليكن ستين - هذا الرجل يقضي في
النوم 20 سنة ويقضي على مائدة الطعام أربع سنوات، ويقضي في الحمام ستة أشهر،
ويقضي في متابعة التلفاز عشرة سنوات، ويقضي في ضغط أرقام الهاتف شهراً واحداً،
ويقضي في الانتظار عند الحلاق شهراً واحداً، ويقضي في ربط حذائه 8 أيام.
ويقولون له: إنك إذا فرغت ساعة واحدة من وقتك كل يوم فخلال سنة
بإمكانك أن تجمع (365) ساعة وهذه تكفي لتنسيق حديقة جميلة في منطقة سكنك، أو
للحصول على دبلوم في إحدى الاختصاصات الأدبية، أو لحفظ القرآن الكريم كاملاً، أو
لتعلم لغة أجنبية جديدة.

والآن سأعرض لكم -أيها الإخوة- نماذج من اهتمام الرجال الكبار، والناس
القدوات بأوقاتهم:

1- الإمام محمد بن جرير الطبري أبو جعفر من وفيات 310 هـ مفسرٌ، محدث،
فقيه، أصولي، مقرئ، مؤرخ، لغوي، أديب، محقق، مدقق.

هو شيخ المفسرين بالمأثور، له كتاب تفسير مؤلف من ثلاثين مجلدة، لا يوجد عالم
يرتقي منبراً، أو خطيب يعلو منصة، أو باحث يسجل بحثاً، يريدون أن يتناولوا تفسير آية
بشكل علمي دقيق إلا وينبغي لهم العودة إلى كتابه ذاك "جامع البيان" الذي قال العلماء
فيه: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً.
وله كتابٌ مثله في التاريخ معروفٌ عند العلماء اسمه "تاريخ الرسل والأنبياء
والملوك والأمم" جاء في عشرة مجلدات.

وله كتاب في الحديث مات عنه ولم يتمه لم يُرَ سواه في معناه، ويُقسَّم المحدثون بأنه
لو أتمه لما وُجدَ في كتب الحديث كتابٌ مثله.

ابن جرير هذا عندما دونوا لنا سيرته قالوا: ما أثر عنه أنه أضاع دقيقة من حياته
في غير الإفادة والاستفادة.

روى أحدُ تلامذته أنه كان يحضر عند أبي جعفر الطبري رحمه الله تعالى قبل موته، وتوفي بعد ساعة أو أقلّ منها، فذُكِرَ له دعاءٌ فاستدعى محبرة وصحيفةً فكتبه، فقيل له: أفي هذه الحال؟ فقال: ينبغي للإنسان أن لا يضيع وقته، وألا يدع اقتباس العلم حتى الممات. إنه استثمار الوقت الذي يرفع قيمة الرجال.

الإمام علاء الدين ابن النفيس الطبيب المسلم المشهور مكتشفُ الدورة الدموية هو من وفیات القرن السابع الهجري، وما زالت كتبنا ورجالنا يفخرون به وبأعماله، وتسمى باسمه المشافي، والمراكز الطبية، والندوات العلمية، والمؤتمرات العالية! ثرى هل ستكون مثله - أيها الشاب المسلم - يوماً ما، فبعد وفاتك بسبع مائة عام نسمع اسمك يُذكرُ في الأرض وفي السماء؟ أم أنك اكتفيت من حياتك بطعامك وشرباك، وشهواتك ولذائذك؟

قالوا عن ابن النفيس: كان إذا أراد التأليف والتصنيف، تُوضع له الأقلام مبريةً، ويدير وجهه إلى الحائط، يأخذ في التصنيف إملاءً من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا انحدر، فإذا كَلَّ القلم وحفي رمى به وتناول غيره لئلا يضيع عليه الزمان في بري الأقلام. دخل مرة الحمام ليغتسل، وبينما كان يغتسل خرج إلى مكان نزع الملابس وارتدائها ودعا بدواة وقلم وورق، وكتب مقالةً في النبض إلى أن أنھاها، ثم عاد وأكمل اغتساله.

نعم أيها الإخوة، هكذا يستفيد هؤلاء الكبار من أوقاتهم فُتَسَجِّلُ أسماءهم، ويعلو ذكرهم.

وبهذا علّت أمتنا وسادت، وإن مما يؤسف أن نرى بعض شبابنا اليوم يقضون في الأزقة على قارعة الطريق ساعات وساعات كأنهم أعمدة كهرباء، أو خشبٌ مُسنّدة، وأمتهم ودينهم بحاجة لوقتهم.

إن مما يحزن أن تتدرب بنائنا على المكث أمام محطات الغناء والرقص والميوعة ساعات وساعات يُدَحِّنُ ويؤركلن، وأمتهم ودينهم بحاجة لوقتهم.

إن مما يدمي القلب أن تتحول السنوات الأخيرة في أعمار كبار رجالنا إلى سنوات تُمَضَى وراء الطاولة في المقاهي العامة والخاصة وأمتهم ودينهم بحاجة لوقتهم. عبدي كبرت سنك، وشاب شعرك وانحنى ظهرك، فاستح مني فأنا أستحي منك. نحن اليوم -أيها الإخوة الشباب- أحوج ما نكون لوقتكم الغالي لتصرفوه فيما يرضي الله ورسوله.

في ختام هذه الخطبة ما المطلوب منك مع الوقت؟

المطلوب أربعة أمور:

- 1- لا تستخدم وقتك فيما يضرّك، سواء في دنياك أو في آخرتك.
- 2- استخدم وقتك فيما ينفعك وينفع أمتك، فأنت إما في عملٍ يفيد دنياك أو في عملٍ يفيد آخرتك.
- 3- استرح واله والعب باعتدال واتزان، كالملاح في الطعام، لتعود إلى العمل والاجتهاد.

فقد قال ﷺ: « **الهو والعبوا فإنني أكره أن يرى في دينكم غِلظة⁽¹⁾** »

- 4- ضع برنامجاً لأعمالك، ضع برنامجاً يومياً، برنامجاً أسبوعياً، خطة شهرية، خطة سنوية، خطة خمسية، وإن استطعت فخطة خمسينية، ثم حاسب نفسك على ما قمت به من هذه الخطط والبرامج.

قال سيدنا عمر بن عبد العزيز: إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما.

والحمد لله رب العالمين

(1) البيهقي في "شعب الإيمان" برقم (6273).